القصّة وفاعليتها في تعزيز الأمن النفسيّ لدى الطفل

د. محمد عكله فرحان

المقدمة

تلقى الطفولة اهتمامات واعية في أنحاء العالم، تتناسب مع أهميتها؛ كونها من أهم مراحل الإنسان، ولها دور في بناء شخصيته، وتشكيل وعيه. لذا اكتسبت القصة الموجهة إلى الطفل أهمية متميزة؛ لأنها تستثير مشاعره وعواطفه، وتؤثر في سلوكه، فالطفل يتأثر بالقصة إلى حدٍّ كبير، فهي تعني له عالمه الخاص الذي يجد فيه المَثل الذي يُحتذى به. وعليه، تحتاج كتابة القصة المقدَّمة إلى الطفل إلى عناية فائقة، وإدراك حقيقي لحاجات الطفل؛ لغرس الأثر الذي يخدم شخصيته، ما يتيح لأبنائنا قضاء طفولة سعيدة وآمنة نفسياً؛ كي يمكّنهم ذلك من حمل أعباء المستقبل بقوة وعزيمة. ومن هنا نشأت أهمية الاستفادة من القصة في تعزيز الأمن النفسي لدى الطفل، فهي المعبّرُ الأمين عن حاجاته النفسية ورغباته؛ لقدرتها على التماثل الوجداني معه. وتكمن أهمية الدراسة فيما يلي:

- إثراء المعرفة الإنسانية بالكشف عن طبيعة العلاقة بين القصة والأمن النفسي لدى الطفل.
- يساعد الباحثين والمربين والمسؤولين في التربية على الاهتمام بالأمن النفسي للطفل، ومعرفة دور القصة في تعزيز الأمن النفسي.
- يعدّ البحث أول دراسة – في حدود علم الباحث – تتناول العلاقة بين الأمن النفسي للطفل والقصة.

وتهدف الدراسة إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين القصة والأمن النفسي لدى الطفل. وكذلك، معرفة فاعلية القصة في تعزيز الأمن النفسي لديه، وذلك من خلال الإجابة عن الإشكاليات التالية:

- كيف تسهم القصة في تعزيز الأمن النفسي لدى الطفل؟
- ما خصائص القصة المعزِّزة لأمن الطفل النفسي؟
- كيف تكتب القصة المقدَّمة للطفل؟

أولاً/ مفهوم القصة:

القصة في اللغة من "قصصتُ الشيءَ، إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء"[١]. وفي الاصطلاح هي "فن من الفنون الأدبية يقوم على سرد حادثة أو مجموعة من الحوادث، مستمدة من الواقع أو من الخيال، وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي والقواعد الجمالية"[٢]. وتعدُّ القصة الموجهة إلى الطفل من أبرز أنواع أدب الأطفال، وتستعين بالكلمة في التجسيد الفني، حيث تتخذ فيها الكلمات مواقع فنية – في الغالب – كما تتشكل فيها عناصر تزيد في قوة التجسيد من خلال خلق الشخصيات، وتكوين الأجواء والمواقف والحوادث، وهي بهذا لا تعرض معاني وأفكاراً فحسب؛ بل تقود إلى إثارة عواطف وانفعالات لدى الطفل، إضافةً إلى إثارتها للعمليات العقلية المعرفية كالإدراك والتخيل والتفكير[٣].

ثانياً/ أهمية القصة للطفل:

أصبح الاهتمام بالطفولة ضرورة ملحّة، فهي عماد المستقبل، والاهتمام بها هو اهتمامٌ في المستقبل. وقد اهتمّ علماء النفس والتربية بالقصة المقدّمة للطفل؛ لأنهم يرونها وعاءً مناسباً تُقدَّمُ فيه الأفكار والارشاداتُ والتربيةُ للطفل. وتؤدي القصةُ دوراً مهماً في إثراء لغة الطفل من خلال ما تزوّده به من ألفاظ وكلمات جديدة تنمي قدرته التعبيرية، وتحسّن أداءه. كما تعمل على تزويده بقدرٍ كبيرٍ من المعلومات والحقائق العلمية التي تزيد من إمكانيته المعرفية. وتعزّز القصة قدرةَ الطفل على الإنجاز والنجاح من خلال ما تعرضه له من نماذج متعدّدة من أبطالها، وتماثله معهم. كما توفّر له دافعيّة نفسية لمواجهة الصعاب والفشل. وتلبّي حاجته إلى التحرّر من الواقع بالخروج مع القصة إلى عالم الخيال ثم العودة إلى الواقع. وتنمّي أيضاً الإحساس بالجمال والنظام. وتشبع حاجته إلى التسلية والامتاع. كما تعرّفه على البيئة التي يعيش فيها، فتسهم

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

في نموّه الاجتماعي والعقلي والعاطفي٤.

لذلك، كانت القصة من أهم الوسائل التي تعزّز التكوين النفسي والعقلي للطفل، فهي أحد العوامل التي يتم من خلالها التواصل الاجتماعي والإنساني، فإنَّ ما تحدثه القصة في نفوس الأطفال من راحة أو قلق أو ما تغيّره في سلوكهم، وتركيب شخصيتهم، يسميه بعض الباحثين "بلحظات الخلق أو الخلق المقدس"٥. وبهذا، تسهم القصة في بناء شخصية الطفل، وبالتالي، تدعم حاجته إلى الأمان والاستقرار النفسي.

ثالثاً/ حاجات الطفل ودورها في أمنه النفسي:

الحاجة في اللغة تعني الحَوَج، وهو الطلب والفقر، أي ما يفتقر إليه الإنسان ويطلبه٦. وفي الاصطلاح هي "افتقادُ أمر مفيد ومرغوب فيه، وهذا الافتقاد يسبب اختلال التوازن في الفرد"٧

وأوضح هنري موراي "Henry Murray" مفهوم الحاجة من خلال نظريته "ضغط الحاجة"، التي تفسر سلوك الأشخاص من خلال حاجاتهم النفسية والضغوط البيئية التي يتعرضون لها، إذ إنَّ للحاجات دوراً مهماً في تحديد سلوك الفرد، وأنَّ أيَّ شيءٍ يضغطُ على الشخص لابدَّ أن يؤثّر على حالته النفسية٨. وضمن هذه النظرية فإن الحاجات والضغوط هي المحرك الأساس لسلوك الإنسان. ويُنظر إلى الحاجة على أنها حالة من النقص والافتقار، تقترن بنوع من التوتر والضيق، لا يلبث أن يزول إلا بقضاء الحاجة، أو زوال النقص، سواءً أكان هذا النقص مادياً أم معنوياً٩.

ويتحدّد مفهوم الحاجة وفقاً للمحدِّدات التالية:

- الافتقار إلى شيء ضروري أو الشعور بالحرمان.
- يقترن الشعورُ بالحرمان بشعورٍ قويٍّ بإشباعه.
- معرفة الإنسان بالوسيلة الكفيلة بمقابلة هذه الحاجة.
- إشباع الحاجة يزيل الشعور بالقلق والتوتر.

تمثّلُ هذه المحدّدات ثلاثة مراحل أساسية يمر بها الطفل نحو إشباع حاجاته، فتتمثل الأولى في الشعور بالحاجة، والثانية في مدى القلق المصاحب للبحث عن الوسيلة المناسبة لإشباع تلك الحاجة، وتنتهي بالحصول على المؤثرات المشبعة للحاجة١٠.

وقام أبراهام ماسلو "Abraham Maslow" بترتيب الحاجات الإنسانية على شكل هرم، تشغل قاعدته الحاجات الفسيولوجية الأساسية، ثم الحاجة إلى الأمن، وتتدرج تلك الحاجات ارتفاعاً حتى تصل إلى قمة الهرم، حيث توجد حاجة الإنسان لتحقيق الذات١١. ويفترض ماسلو من خلال هذا الهرم أن الحاجات الإنسانية تأخذ نظاماً تصاعدياً متدرِّجاً، تبعاً للأولوية والأكثر تأثيراً، فعندما تُشبَع الحاجات الأكثر أولوية وتأثيراً، فإنّ الحاجات التالية في التدرّج الهرمي تبرز، وتطلب الإشباع هي الأخرى، وعندما تشبع يصعد الإنسان درجة أعلى على سلّم الحاجات. ويتحدّد هرم ماسلو لحاجات الإنسان فيما يلي:

- حاجات فسيولوجية (الجوع، العطش، الهواء،...).
- حاجات الأمان (الإحساس بالأمن، الحماية، النظام، الحب).
- حاجات الانتماء (العلاقة الحميمة مع شخص آخر، تكوين العائلة، أهمية الجماعة).
- حاجات التقدير (الاحساس الداخلي بالقيمة الذاتية، اكتساب احترام الآخرين، السمعة الحسنة، النجاح).
- حاجات تحقيق الذات (الإنجاز، السعي نحو قيم عليا، تحقيق الفرد لإمكانياته)١٢.

وبهذا، تعدُّ الحاجة إلى الأمن من الحاجات الأساسية في نظام ماسلو، فقد جاءت في المرتبة الثانية بعد الحاجات الفسيولوجية. وسوف يكشفُ عدم إشباعها عن حالةٍ من النقص والافتقار، ولا يمكن أن يزول حتى تُشبَع هذه الحاجة المهمة.

وعليه، ينبغي أن تسدَّ حاجة الطفل إلى الأمن النفسي؛ كي تساعده على بناء شخصيته بناءً سليماً، فإنّ خبرات الطفل الذاتية المحدودة بحدود زمانه وبيئته لا يمكن أن تسمحَ له بالنّمو المطلوب والشخصية السليمة المتطورة. من هنا، تكون تجارب الآخرين التي تتضمّنها قصة الطفل زاداً يساعده على التعرّف على خبرات كثيرة، وأشخاص كثيرين عاشوا في زمان ومكان غير زمانه ومكانه. وهكذا، يطّلع الطفل على أحداث متنوّعة وأشياء كثيرة ومواقف متعدّدة وأزمنة وأماكن مختلفة، ومن خلال تفاعل الطفل مع هذه الأحداث، تتسع خبراته، فيتعلم وينمو١٣.

من هنا، نشأت ضرورة الاستفادة من القصة، كونها تؤثر بمغزاها وأسلوبها وخيالها ولغتها في تكوين الطفل، فهي المعبّرُ الأمين عن حاجاته النفسية ورغباته،

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

لقدرتها على التماثل الوجداني معه؛ لأن الطفل يتأثر بها إلى حدٍّ كبير، فهي عالمه الخاص الذي يجد فيه المَثل الذي يُحتذى به، ويشكّلُ لديه الإحساس والانفعال المناسبين لتكوين الأفكار والاتجاهات، وتميل نفوس الأطفال إلى القصة فيقبلون عليها شوقاً وحباً لها١٤.

رابعاً / الحاجات النفسية التي دفعت الطفل لتقبُّل القصة:

هناك مجموعة من الحاجات أو السمات النفسية لدى الطفل دفعته لتقبُّل القصة المقدَّمة إليه، والاستفادة منها، والتأثّر بها. وتتلخّص فيما يلي ١٥:

- السمة التركيبية في تفكير الطفل:

يربط الطفل عادة بين أحداث وأشياء لا يوجد بينها علاقة منطقية في الواقع، ولكنه يربط بينها لتلازم ظهورها أمامه، أو لإثارتها مشاعر في نفسه، فتختلط عليه فلا يفرّق بينها ولا يميزها عن بعضها البعض. وهذا يفسر كيف أن المغامرات التي تثير دهشتنا يمكن أن تحدث في قصة الطفل، وعادةً يتقبلها الطفل من دون أيِّ اعتراضٍ منه، على الرغم من غرابتها وتناقضها.

- الواقعية عند الطفل:

تختلف واقعية الطفل عن الواقعية عند الكبار، فالواقعية عند الكبار تعني النظر إلى الأشياء كما هي في حدِّ ذاتها، بغضِّ النظر عن عواطفهم ورغباتهم التي تحاول أن تتدخّل وتغيّر في العالم الخارجي. أما الواقعية عند الطفل فهي تختلف عن واقعية الكبار. فتمركز الطفل حول ذاته يمنعه أن يميّز بين ذاته والموضوعات المختلفة، فيخلط بين شخصيته وبين الأشياء الأخرى، ويميل إلى تجسيد أفكاره الداخلية وصبِّها في كلِّ ما يحيط به في الخارج. لذا فإنّ ما يتصوره الصغير ويتمناه لا يتميز عما يدركه ويراه؛ بل إنه يرى في الخارج ويحس بتلك الأحلام التي تراوده في الداخل.

- الصفة الإحيائية لدى الطفل:

يرى الكبار الأشياء برؤية تختلف عن رؤية الأطفال لها، فالأشياء التي يراها الكبار جامدة يراها الطفل ذات حياة. فالطفل في سنواته الأولى يضفي الحياة على الأشياء من حوله، ويضفي عليها المشاعر والأحاسيس التي يشعر بها، وسماته الشخصية أيضاً.

فهو عادة يضرب المنضدة التي تعثَّر بها، كما لو كان يعاتبها لأنها آذته، والطفلة تسترضي عروستها عندما تسقط على الأرض، لأنها ترى أنها آذتها، وعلى هذا فهو يتصور أن بعض الجمادات شرير، وبعضها الآخر طيب، ولهذا يعاقب الأشياء التي تؤلمه. فليس مستغرباً أن يكون أبطال قصص الأطفال طيور وحيوانات وأشجار، تتكلم وتبكي وتفرح وتحزن.

وما يساعدُ على وجود الصفة الإحيائية لدى الطفل السمةُ التركيبية التي تميّزُ تفكيره في هذه المدّة، بالإضافة إلى الخلط بين ذاته والأشياء الأخرى، فيعزو إليها بعض مشاعره ومعاناته.

- الطفل أسير وجدانه:

يسيطرُ وجدانُ الطفل على سلوكه وفهمه لما حوله. فالطفل يصنِّف الأشياء ويدركها تبعاً لانجذابه النفسي لها، وما تثيره في نفسه من سعادة أو ألم. فالطفل يخلط بين ذاته والأشياء التي تحيط به، ويضيف إلى الأشياء صفات تماثل ما يشعر به من لذّة أو ألم. لهذا، يحتاج الطفلُ القصة كي يُسقِط إحساسه ومعاناته عليها. فالأطفال ينجذبون إلى القصص التي تحاكي مشاعرهم، وهي بالتالي تكشف عن مشكلاتهم وأحاسيسهم، وتكشف كذلك عن الصورة التي كونوها لذواتهم ومفهومهم عنها.

- خيال الطفل الخصب:

يلجأ الطفل إلى الخيال لحاجته إلى التعبير عن انفعالاته وقدراته العقلية، وإشباع رغباته المكبوتة، وتتغذى مخيلة الطفل بحاسيته المرهفة، وينميها عجزه وحدود إمكانياته في واقعه، فيصنع لنفسه واقعاً جديداً بديلا عن الواقع الحقيقي الذي صنعه الكبار وتحكموا فيه، فيرى ما لا يراه الكبار. ويؤدي خيال الطفل وظيفةً مهمة في نموه؛ لأنه يشكل له طريقة لتنظيم الكثير من نشاطاته، وممارسة مهاراته الحركية، وتنشيط فعالياته١٦.

خامساً / الأمن النفسي مفهومه وأهميته للطفل:

الأمن في اللغة تعني الطمأنينة، وهو ضد الخوف. وآمنتُهُ ضد أخفتُهُ١٧. وفي الاصطلاح الأمن النفسي يعني الطمأنينة النفسية أو الانفعالية، وهو حالة يكون فيها إشباع الحاجات مضموناً وغير معرّض للخطر، وهو محرك الفرد لدرء الخطر الذي يهدّده، وترتبط الحاجة بالأمن

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

ارتباطاً وثيقاً بغريزة المحافظة على البقاء١٨.

وقد عرّف "ماسلو" الأمن النفسي بأنه شعور الفرد بأنه محبوب ومتقبّل من الآخرين، ويدرك أنّ بيئته صديقة ودودة غير محبطة، يشعر فيها بندرة الخطر والتهديد والقلق١٩.

تعدّ الحاجة إلى الأمن من أهم الحاجات النفسية التي يجب أن تشبع في حياة الطفل، ويستمر أثرها في حياته المستقبلية. وتبدو أهمية الحاجة للأمن واضحة في تقسيم "ماسلو" للحاجات الإنسانية، حيث يضعها في المستوى الثاني من النموذج الهرمي للحاجات. وتبعاً لنظام "ماسلو" للحاجات لا يستطيع الفرد الانتقال من مستوى إلى مستوى أرقى في الحاجات إلا بعد إشباع الحاجات الخاصة بالمستوى الذي يوجد فيه، فيظهر تأثيرها في دافعية الفرد، فينتقل إلى المستوى الأرقى للحاجات. ومعنى ذلك عندما لا تُشبع حاجات الأمن لدى الطفل يجد صعوبة في إشباع باقي الحاجات النفسية الأساسية، ما يؤثر في سلوكه فيما بعد، وهذا مصداق لقوله تعالى:(الذي أطعَمَهُمْ منْ جوعٍ وآمنَهُم منْ خَوفٍ) ٢٠.

لذلك، يُعدُّ الأمن النفسي من الحاجات المهمة لبناء شخصية الطفل، وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً وجوهرياً بالتربية والتعليم، وينشأ نتيجة تفاعل الطفل مع مدرسته والبيئة المحيطة به من خلال الخبرات التي يمر بها٢١.

- مؤشرات الأمن النفسي عند الطفل:

تحدّث "ماسلو" عن مؤشرات عدّة، يمكن من خلالها معرفة تمتُّع الطفل بالأمن النفسي، ومن هذه المؤشرات ما يلي ٢٢:

١- الشعور بتقبّل الآخرين ومودّتهم.
٢- الشعور بالانتماء إلى الجماعة والانجذاب لها.
٣- الشعور بالسلام، وغياب الخوف والقلق.
٤- التفاؤل وتوقُّع الخير.
٥- الشعور بالمسؤولية الاجتماعية وممارستها.
٦- الثقة بالنفس وتقبّل الذات.

إذن، يمكن القول إنّ الأمن النفسي هو الطمأنينة النفسية والانفعالية، وإنّ الشخص الآمن نفسياً هو الذي يشعر أن حاجاته مُشبَعة، وأن مطالب نموّه محقّقة، والإنسان الآمن نفسياً يكون في حالة توازن وتوافق نفسي. ويعدّ الأمن النفسي من الحاجات المهمة لبناء الشخصية الإنسانية، حيث إنّ جذوره تمتدّ إلى الطفولة، وتستمر حتى الشيخوخة عبر المراحل العمرية المختلفة، وأمنُ المرء يصبح مهدّداً إذا ما تعرّض إلى ضغوطات نفسية واجتماعية لا طاقةَ له بها في أيّ مرحلة من تلك المراحل، ما يؤدي إلى الاضطراب، لذا فالأمن النفسي يعدّ من الحاجات ذات المرتبة العليا للإنسان، لا يتحقق إلا بعد تحقّق الحاجات الدنيا له. ومتى ما هُدِّد الأمنُ النفسي لدى الطفل، انعكس ذلك سلباً على شخصية الطفل، ونموّه النفسي، واستقراره وكفاءته٢٣.

سادساً / دور القصة في تعزيز الأمن النفسي لدى الطفل:

تحقق القصة أهدافاً ذات صلة بتعلّم الأطفال، بما يحمله أسلوبها من تشويق وخيال، يمكن أن يكون الوعاء الذي نصبُّ فيه كلّ ما نريد تقديمه للطفل، فتجعل القصة من القراءة عملية منتجة ومفيدة، وتكسب الأطفال الكثير من المهارات التي تمكّنهم من إتمام عمليات التعلّم في مجالاته المتعدّدة٢٤. وبالتالي، تسهم هذه المهارات في تعزيز الأمن النفسي لدى الطفل. ويمكن تلخيص دور القصة في تعزيز الأمن النفسي لدى الطفل من خلال ما يلي:

- إثارة التساؤلات لدى الطفل:

يكون للقصة أثر واضح على الطفل، بما تُحدِثُه من ردّة فعل في حياة القارئ الصغير، ويكون لردّة الفعل هذه نتائج عملية، إذ تبرز ميولاً واتجاهات في حياته، وغايات مستقبلية، فالطفل المؤوّل للقصة يكون بين الواقعي والخيالي، وبين العادي والعجيب، وبين المألوف وغير المألوف؛ وبالتالي، يدفعه ذلك للتساؤل، ومحاولة معرفة الأشياء٢٥.

وبذلك، تسهم القصة في تعريف الطفل بالعالم الخارجي، وما يرى فيه، فترفع الغموض، وبالتالي، ترفع عنه جزءاً كبيراً من الخوف الناتج من تداخل هذا العالم. ويستند الطفل في ذلك إلى مداركه، ومعارفه لتأويل نص القصة، ويستند كذلك إلى الإشارات الموجودة فيها، فتنمو قدرة الطفل على البحث والملاحظة والاكتشاف، ولا يتحقق ذلك الأمر إلا بتوفر شروط وخصائص تتعلق بمضمون القصة ولغتها، وكيفية تفاعلها مع نفسية الطفل المرهفة.

- اكتساب المعارف:

تمكّنُ القصةُ الطفلَ من اكتساب العديد من الأفكار والمعلومات المختلفة، وتمكّنه من التعرف على الأماكن والتاريخ وأبطاله، وتنمية الخيال لديه، ويسهم اكتساب المعارف في تمكّن الطفل من التعامل مع مختلف المواقف التي تواجهه، فتتعزز قدرته على إدراك الأشياء وفهمها، فتتطور خبرته، وقدراته العقلية، فيتمكّن من ربط الأسباب بالنتائج، ثم الحكم على الأشياء، فيشبع حاجاته النفسية من معرفة ما كان غامضاً بالنسبة له، فتنمو عندئذٍ شخصية الطفل.

- تنمية الملكة اللغوية:

تمكّنُ القصةُ الطفل من التقويم اللساني والتنمية اللغوية، من خلال التعامل مع القواعد النحوية والصرفية والتركيبية، والتعرُّف على الرموز اللغوية، ومعرفة التصوير بها، وأساليب إنشاء القول، وهذا يمكّنُ الطفلَ من تأويل النص اعتماداً على الإشارات اللغوية، فتقوى عنده الملكة اللغوية، ويتطوّر القاموس اللساني، فيستطيع فكّ مختلف الشفرات اللغوية ورموزها، فيحقق الطفل ذاته، وتنتقل اللغة من وظيفتها اللسانية إلى التواصلية، ثم إلى وظيفة تنمّي العقل وتغذي الإحساس، ويسهم هذا الأمر في إشباع حاجة الطفل الإفهامية، فيستطيع أن يعبر عن الكثير من تجاربه البسيطة والمعقدة.

فيسهم هذا الأمر في إثارة قابلية الطفل على القراءة؛ من خلال الترغيب والتشويق في فعل التواصل الذي يجده الطفل حال القراءة، فكلما زاد الثراء اللغوي، زادت قدرة الطفل على التعبير، ونقل أفكاره، ما يعزز الاستقرار النفسي لديه.

- الترفيه عن الطفل وإسعاده:

القصة باعتبارها عملا فنياً تهدف إلى المتعة والترفيه أولاً، ثم التربية ثانياً. ولهذا ينبغي على القاص أن يستغل انبهار الطفل في شحن القصة بمظاهر السعادة والفرح، فالقصة وسيلة للتنفيس عن مشاعر الطفل المكبوتة. وبالتالي، تسهم القصة في إسعاد الطفل، ورفع الحزن عنه.

وتكون الشخصيات من عناصر القصة المهمة التي توفر الترفيه للطفل، فينبغي على القاص أن ينتقي الشخصيات المحببة عند الأطفال ما يقوي رغبة الطفل على متابعتها وحبها، والرغبة في مشاركتها أفعالها وأقوالها، وحركاتها وسكناتها، وذلك "عن طريق وصف أفكارها، وبيان أفكار الآخرين عنها بواسطة ما تقوم به من أحداث داخل القصة"٢٦، وإذا توفرت الشخصيات على مثل هذه الوقائع؛ فإنها تكون أكثر ارتباطاً بكيانه النفسي؛ لذلك تجد الأطفال يحبون شخصيات معينة، ويتعلقون في أفعالها، فيدخل السرور والبهجة على أنفسهم.

ومن هنا كانت القصة من أهم الوسائل التي تؤثر في التكوين العقلي والنفسي للطفل، وهي أحد العوامل التي يتم من خلالها التواصل الاجتماعي والإنساني والانتمائي الخاص، لذلك فإن القصة تحدث في نفوس الأطفال الراحة والسعادة.

- تنمية الحس الجمالي:

تثير القصة في الطفل حب الاستطلاع، وهذا يساعده في الكشف عن التوافق الروحي والنفسي بينه وبين مكوّنات القصة، ويمكّنه هذا من البحث عن جمال الأشياء والتوافق معها وتذوّق هذا الجمال٢٧. ويتحقّق هذا من خلال عناصر البناء الفني المنسجمة في القصة: كالفكرة، والأحداث، والشخصيات، والحوار والوصف، والبيئة المكانية والزمانية.

- تنمية الإحساس بالآخرين:

تسهم القصة في إخراج الطفل من التمركز حول ذاته إلى مشاركة الآخرين، فيتحول من الفردية إلى المشاركة الوجدانية الجماعية، ومنها إلى الإحساس بالآخرين والشعور بهم، والتعامل فكرياً معهم، وتمكينه من التكيّف مع الآخرين اجتماعياً من خلال تعزيز الانتماء إلى الجماعة والوطن، وتربية الروح الجماعية فيه، وحثّه على الصداقة، فتنمي القيم الروحية والوعي عند الطفل، وشعور محبة الآخرين. ويشترط لتحقيق هذا الأمر أن الذي يكتب للأطفال يعد مربياً؛ ليحاول الأخذ بيدهم لدمجهم في مجتمعهم، ويعلمهم الأخلاق وحسن المعاملة والتعاون، وبالتالي، يكون هذا دافعاً لاستقرارهم الاجتماعي ثم استقرارهم النفسي.

نستنتج مما سبق أن القصة تؤثر على نظرة الطفل لذاته، فهو يتعامل مع العديد من الأفكار والأفعال والحالات، ومن خلالها تتطور نظرة الطفل وقيمه الخاصة، وهذا يسهم بتعديل نماذج سلوكه وبنائه القيمي. وهنا تتضح فاعلية قصة الطفل كداعم ومعزز للمشاعر والقيم الايجابية الطيبة، فترعاها وتنميها، حيث

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

يتكامل التوازن الايجابي بين عواطف الطفل وسلوكياته، فينعكس على استقرار أمنه النفسي.

سابعاً / كيفية كتابة قصة تعزّز الأمن النفسي للطفل:

ينبغي لمن يكتب للأطفال أن يكون مبدعاً، يكتب لهم وكأنه واحد منهم، يعيش معهم في واقعهم وخيالهم؛ فقدرة المبدع على الاندماج مع الأطفال، وواقعهم ومعرفة تطلعاتهم ومعايشة عوالمهم؛ هي التي تجعل من تصوراته تصوراتهم، ومن لغته لغتهم، وهو على كبره يفكر بعقل الطفل، ويطاوع تصرفاته ومنطقه وخياله. وعلى الكاتب مراعاة قدرات النمو المرحلي، والإدراكي والنفسي والعقلي للطفل، وتصوراته، ونظرته للأشياء٢٨. لذا يشترط على من يكتب للأطفال أن يكون مرّبياً بالدرجة الأولى؛ ليحاولَ الأخذ بيدهم ودمجهم في مجتمعهم. واستناداً إلى ما تقدّم، يرى المختصون بأدب الأطفال أن القصة المقدَّمة إلى الطفل يجب أن تتميز بخصائص منها ٢٩:

١- مساعدة الطفل على الترفيه والتنشئة الأخلاقية، وتعريفه بالعالم، وتمكينه من التكيُّف مع الآخرين اجتماعياً من خلال تعزيز الانتماء إلى الجماعة والأرض والوطن. وتنمية قدراته العقلية والنفسية، وبالتالي تنمية شخصيته.

٢- جودة الموضوع، وتكمن أهمية اختيار الموضوعات في قصص الأطفال؛ نظراً لحساسية الطفل المرهفة وسرعة تأثُّره بما يقرأ أو يسمع أو يشاهد، وقدرته على التمثّل، ورغبته في تقليد الأحداث أو الأبطال في القصص التي يقرؤها. فينبغي أن يجيب الموضوع في قصة الطفل عن تساؤلاته حول الظواهر الطبيعية، والحقائق العلمية، والتاريخية، والاجتماعية التي تصور علاقة الفرد بالآخر. وأن تنتهي القصة نهاية سعيدة عادلة تكافئ الخير، وتعاقب الشر.

٣- ابتعاد الفكرة في قصة الطفل عن الضبابيّة؛ بل يجب أن تكون مناسبة لمستوى الطفل، مع عدم استخدام طريقة التلميح التي تؤدي إلى الغموض. ويجب أن تسهم الفكرة بإخراج الطفل من التمركز حول ذاته إلى مشاركة الآخرين٣٠.

٤- أن تكون اللغة قريبة من مدركات الطفل، تراعي شعوره وأحاسيسه، وترتبط بتصوّراته وبيئته، وأن تكون سليمة في استخدام القواعد، فهي الوسيلة التي تتم بها عملية التواصل بينه وبين المؤلف، فأيّ خلل في اللغة يعطّل فعل التواصل.

٥- توظيف الشخصيات المحبّبة للطفل، فينبغي أن تكون قصة الطفل منسوبة إلى شخصيات مألوفة عنده، مؤثّره فيه، ذات صلة بواقعه، مرتبطة باهتماماته وتصوراته، وأن تتضمّن الشخصيات أبطالاً يشبهون الطفل في العمر والقوى، وأن تكون واضحةً في ملامحها وطباعها وسلوكها؛ كي يرغب الطفل في متابعتها وحبها، ومشاركتها أفعالها وأقوالها.

٦- جاذبية الأسلوب، والأسلوب هو الصياغة اللغوية للحدث، وينبغي أن يتميز بقدرته على إثارة عواطف الطفل، وأن يمتاز بالتوافق النغمي والتآلف الصوتي في مقاطع الجمل، وأن تكون اللغة سهلة خالية من الزخارف البيانية، بعيدة عن السطحية.

خاتمة:

قصة الطفل أداة مهمة من أدوات تنشئة الطفولة التي تعد عماد المستقبل وأساسه، فهي تسهم في بناء شخصية الطفل التي تكون أساس المجتمع. وتنقل للطفل القيم المعرفية والثقافية عن مجتمعه، وهي وسيلة هامة لغرس القيم والأخلاق في الأطفال. ولا ينبغي النظر إلى قصة الطفل على أنها أدب سهل، كونها موجهة للصغار، والحقيقة أن قصة الأطفال أصعب من أدب الكبار؛ لأن نتائجها وآثارها أخطر بكثير من آثار أدب الراشدين، لذا ينبغي على المعنيين بقصص الأطفال أن يحرصوا على الإبداع في كل ما يقدموه للأطفال في الشكل والمضمون.

إنَّ الحاجة إلى الأمن من أهم الحاجات التي يجب أن تشبع في حياة الطفل، وهو ينشأ نتيجة التفاعل السليم للطفل مع البيئة المحيطة به، ويرتبط الأمن النفسي ارتباطاً وثيقاً وجوهرياً بالتربية والتعليم. وتسهم قصة الطفل بشكل كبير في تعزيز الأمن النفسي لدى الطفل من خلال المساهمة في خلق التوازن النفسي لديه، وحل الكثير من التساؤلات التي تسبب له الخوف والقلق.

التوصيات:

في ضوء ما توصلت إليه الدراسة

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

حول دور القصة في تعزيز الأمن النفسي لدى الأطفال، فقد أوصت باتخاذ عدد من الخطوات العملية، تتمثل فيما يلي:

- الدعوة إلى فتح باب جديد في حلّ مشكلات الطفل النفسية من خلال القصة.
- ضرورة تطوير مناهج اللغة العربية في المراحل الدراسية كافة وتحديداً المرحلة الابتدائية، والعناية في القصة المقدمة إلى الطلبة، ومراجعة مضامينها وأساليب عرضها ومدى فاعليتها في التأثير في الطفل وتوفير الأمن النفسي له.
- الدعوة إلى تنظيم الملتقيات العلمية، وكتابة البحوث التي تسعى إلى الاهتمام بقصص الأطفال، ودراسة دورها في أمن الطفل النفسي.
- العناية التامة في اختيار القصة المقدمة للطفل، والحرص على أن تكون واضحة المضامين وغير غامضة، وتعرض بأسلوب مشوّق به شيء من المرح والأمل.
- الحرص على اختيار المضامين التي تقدَّم للأطفال في القصة، بحيث تغرس حب الوطن، وحب الآخر، وروح التعاون.
- الاهتمام بالقصص التي تتحدث عن سِيَر المخترعين والعلماء، وما واجههم من صعوبات في حياتهم، وكيف تغلبوا عليها، بصورة مشوقة للطفل ليتعلم منها، ويحاول الاقتداء بهم.
- توافر مجموعة من الشروط لدى مؤلفي قصص الأطفال، أهمها الثقافة النفسية والاجتماعية.

الهوامش:

١- ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصص)، دار صادر، بيروت، ج٧، د.ت، ص٧٤.

٢- إيمان بقاعي، قصص الأطفال، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص٣١.

٣- انظر: هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ت، ص١٧١.

٤- انظر: إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال، مكتبة دار العربية للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢٦، ٢٧.

٥- حنان عبد الحميد العناني، أدب الأطفال، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط٣، ١٩٩٦م، ص٦٧.

٦- ابن منظور، لسان العرب، مادة (حَوَجَ)، ص١٨٠.

٧- فاخر عاقل، علم النفس التربوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، د.ت، ص٣٩١.

٨- انظر: عبد المحسن بن رشيد المبدل، المكونات الإيجابية للبيئة الصفية في ضوء نظرية موراي وعلاقتها بمهارات التفكير الناقد، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، أطروحة دكتوراه، إشراف: صالح بن إبراهيم الصنيع، ٢٠١١م، ص٧.

٩- انظر: زيدان عبد الباقي، الأسرة والطفولة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٠- انظر: زينب محمود إسماعيل، دراسة مقارنة بين الأطفال الصم كليا أو جزئيا من حيث الاستجابات العصابية، رسالة ماجستير، كلية التربية- جامعة عين شمس، ١٩٨٦م، ص٣٢.

١١- انظر: سهير علي الجيار، الدور التربوي للمؤسسات الإيوائية في مصر، مجلة المؤتمر السنوي الثالث للطفل المصري "تنشئته ورعايته"، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس، مارس ١٩٩٠م، ص٣٠.

١٢- Abraham.H.Maslow.theory of human motivation.psychological review.vol ٥٠. نقلاً عن: سهير كامل أحمد، الحرمان من الوالدين في الطفولة المبكرة وعلاقته بالنمو الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي، مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد ٤، ١٩٨٧م، ص٤٦.

١٣- انظر: أحمد زلط، قراءة في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص١٣١.

١٤- انظر: عبد الثواب يوسف، دور أدب الأطفال في تنشئة الثقافة للأطفال وإعدادهم لعالم الغد، مجلة الفيصل، القاهرة، عدد ٣٠٢، ٢٠٠٠م، ص٦٤.

١٥- انظر: مواهب عياد، النشاط التعبيري للطفل، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص٤٠-٤٤.

١٦- انظر: هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٧٨م، ص٧٣.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

١٧- ابن منظور، لسان العرب، مادة (أمن)، ص٢١.

١٨- انظر: حامد عبد السلام زهران، الأمن النفسي دعامة أساسية للأمن القومي العربي، دراسات تربوية، مجلد ٤، جزء ١٩، تموز ١٩٨٩م ص٢٩٦.

١٩- انظر: كمال دواني، اختبار ماسلو للشعور بالأمن النفسي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، الجامعة الأردنية، عمّان، عدد٢، ١٩٨٣م. ص٥١.

٢٠- سورة قريش: الآية ٤

٢١- انظر: أياد محمد أقرع، الشعور بالأمن النفسي وتأثره ببعض المتغيرات لدى طلبة جامعة النجاح في فلسطين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية النجاح في فلسطين، ٢٠٠٥م، ص٣.

٢٢- انظر: السيد محمد عبد المجيد، إساءة المعاملة والأمن النفسي لدى عينة من تلاميذ المدرسة الابتدائية، مجلة دراسات نفسية، مجلد ١٤، عدد٢، ٢٠٠٤م، ص٢٤٧.

٢٣- انظر: محمد جبر، بعض المتغيرات الديموغرافية المرتبطة بالأمن النفسي، مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مجلد ١٠، ١٩٩٦م، ص٨٠.

٢٤- انظر: يعقوب الشاروني، تنمية عادة القراءة عند الأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٢٩.

٢٥- انظر: سيسيليا ميرايل، مشكلات الأدب الطفلي، تر: مها عرنوق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، ١٩٩٧م، ص١٢١.

٢٦- علي الحديدي، في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٨٢م، ص١٢٧.

٢٧- انظر: هدى قناوي، الطفل وأدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٦٧-١٧٢.

٢٨- انظر: محمود حسن إسماعيل، المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، ص٧٥.

٢٩- انظر: سمير روحي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، ١٩٩٨م، ص٧٤.

٣٠- انظر: محمد حسن بريغش، أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط٣، ١٩٩٨م، ص٢١٧.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2